مقياس : علم النفس المرضي للتواصل السنة الاولى ماستر

المحاضرة الخامسة

وجهات النظر في تفسير التواصل اللغوي :

1- التواصل اللغوي عند "دو سوسير" :

يزعم "غريماس" أن نظرية التبليغ إنما جاءت على غرار نظرية الإعلام، و كان يرى أن هذه النظرية شديدة الميكانيكية من حيث كونها في الأصل نظرية لسانية لم تكن تعن إلا بالشبكة المظهرية الرابطة بين المرسل والمتلقي أو ما بينهما، أي الرسالة التي تحتوي العلاقة بينهما من متعارفات لدلالة الوضعية كالسياق الدال واللغة المستعملة بين الطرفين .إن هذه النظرية لم تستطع تجاوز العلاقة الميكانيكية التي تحدث بين متخاطبين اثنين ، ولم تجاوز ذلك إلى الخطاب الأدبي من حيث هو شبكة معقدة من النصوص بحيث يستحيل في الوقت الراهن فك كل ألغازها وتحليل كل أبعادها وتفسير كل رموزها إلا تحت إجراء التأويلية يطلق عليها نظرية الاتصال .اهتم اللسانيون المحدثون بأشكال التواصل اللغوي ، و قد جاء هذا في كتاب العام الغربي السويسري دي سوسير "محاضرات في اللسانيات العامة " عام 1916 ،عندما تحدث عن كيفية حدوث التخاطب اللساني، ورأى أن اللغة نسق من العلامات والإشارات هدفها التواصل وتحتاج العملية التبليغية أو التواصلية إلى باث *مرسل * ومتلقي وقناة لتبليغ أو نقل المرسلة اللغوية، فهي عملية عقلية كما عبر عنها أثناء إتحاد الدال بالمدلول، أو عند تقاطع الصورة السمعية مع التصور أو المفهوم الذهني .اقترح العالم الغربي السويسري " دي سوسير" تصور مخطط بياني لهذه العلاقة الثنائية التي تنهض على تصور أن (أ) يبث رسالته إلى (ب) عن طريق تسرب الهواء من الحنجرة إلى الفم مدويا صوتا أو رسالة صوتية تعبر عما يختزن في الدماغ، فتبلغ رسالته بواسطة الصورة الأوكستيكية السمعية التي تلتقطها أذن المتلقي التي تحولها إلى دماغه لكي يفك شفرتها، و العكس صحيح إذا أراد المتلقي (ب) أن يجيب سيتكرر الأمر و لكن من قبل (ب): ينطلق الصوت من الحنجرة(ب) لينتهي إلى أذن (أ) فتتحول الرسالة إلى دماغه ، لفك غموضها وفهم الفكرة التي يريد توصيلها المتلقي إلى الباث .تنهض نظرية "دي سوسير" على نزعة اجتماعية، ذلك معروف بين الناس حيث كان يرى أن التبليغ ضربا من الحدث الاجتماعي الملاحظ في فعل الكلام، كما تقوم نظريته على وجود شخصين اثنين على الأقل (باث ومتلقي) لأداء فعل الكلام .من الواضح أن هناك جهاز ذكائي وميكانيكي يتمثل في الملكة اللغوية التي يتميز بها الإنسان عما سواه من الكائنات الحية، و يعد منبع التواصل القائم بين طرفين اثنين فهناك

أ - الدماغ: وهو الذي يبث الفكرة أو التصور الذهني إلى الحنجرة آمرا إياها بالنطق، واختيار الألــفاظ و الكلمات المناسبة لها، و هكذا يكون الطرف الأول مركبا من جهاز معقد هو الدماغ الذي يفكر في تصور الفكرة لتشكيل رسالة .

ب- أعضاء النطق (الحنجرة، اللسان، الفم) و هي على قدر كبير من الاهمية و كل ما له صلة بهما، فهي قادرة على نقل المعاني المجردة عبر الموجات الصوتية .بيد أن الطرف الثاني (المتلقي) يكون مزود بجهاز السمع (الصورة الأكوستيكية) لالتقاط وإدراك الرسالة، لكن و أثناء الحوار فإنه سيصنع بنفسه جهاز أو نظام يجعله يعبر عما يختلج في ذهنه من تصورات مجردة يبث عن طريقها النطق لتبلغ أذن السامع (المرسل او الباث). ويمكن حصر هذه العملية التواصلية في المخطط الآتي:

أ - تصور ذهني ـــــــــــــــ* تبليغ الرسالة *ـــــــــــــــ ب- صورة سمعية

أ- المرسل

ب- المتلقي

أما في حالة إجابة المتلقي على الرسالة التي تلقاها من المرسل :

المرسلة

أ- فكرة + صورة صوتية ـــــــــــــــ* تبليغ رسالة *ـــــــــــــــ ب- صورة سمعية

أ- المتلقي

ب- المرسل

من سمات طرفي التواصل :

المرسل	المتلقي
-1- نطق صورة صوتية	الصورة السمعية
- 2- تصور ذهني	الصورة السمعية+ تصور ذهني
- 3 - الصورة السمعي	صورة صوتية

وكان النفساني "يوهلر" قد ذهب إلى أن النشاط اللساني يتحدد بوظائفه الثلاث المتمثلة في:

1* التعبير من حيث هو باث.

2*النداء من حيث مبثوث له إسماع المتلقي

3*استحضار الرسالة بما فيه من طبيعة الإحالة على المرجع أو السياق.

يذهب مجموعة اللسانيين إلى أن اللغة وظيفتها التواصل كـفرديناندو دو سوسير الذي يرى، في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" سنة 1916 ،أن اللغة نظام من العلامات والإشارات هدفها التواصل خاصة أثناء اتحاد الدال مع المدلول بنيوياً أو تقاطع الصورة السمعية مع التصور الذهني، وهو نفس المفهوم الذي كان يرمي إليه تقريباً "ابن حسن" في كتابه " الخصائص" عندما عرف اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، أي أن اللغة ما هي إلا أصوات يصدرها المتكلم أو المتحدث ليعبر عن مقاصده وأفكاره. وبالسماع نستدرك نوايا المتكلم ونحاول فك رموز لغته المسموعة كي نتواصل معه السماع في تثبيت وترسيخ الفكرة في الأذهان . تعلّم أي لغة يكون بالسماع والقياس على لغتنا التي تتحدد بقواعد معيارية تستند إلى العقل والمنطق، يقاس عليها الكلام عند سماعه من أجل فصاحة وبلاغته وسلامته من الأخطاء اللغوية .ويعرف "أندريه مارتينيه" اللغة بأنها عبارة عن تمفصل مزدوج وظيفتها التواصل، ويعني أن اللغة يمكن تقسيمها إلى تمفصل أول هو المونيمات (الكلمات)، وبدورها تنقسم إلى فونيمات (أصوات) ومورفيمات (مقاطع صرفية)، و هي تشكل التمفصل الثاني. لكن الأصوات هي أصغر الوحدات اللغوية غير دالة بمفردها لا يمكن تقسيمها إلى وحدات صغرى لأن الصوت بدوره يتكون من مقطع (صائت+ صامت) لا يتجزأ .وإذا جمعنا الفونيمات بعضها البعض تكونت مونيمات، وإذا جمعنا الكلمات تكونت جمل، والجمل تكون فقرات، والمتواليات، والفقرات تكون النص، وهذا ما يسمى باللغة التي من أهدافها الأساسية التواصل.إن عملية التواصل الإنساني تتم عبر أكثر من مرحلة:

* المرحلة الرئيسية الأولى: مرحلة تكوين الرسالة في الذهن وإطلاقها أصوات بوظائف فيزيولوجية، يختص بها المتكلم.

*المرحلة الثانية: تتجسد في العملية الفيزيائية التي تنتقل فيها الأمواج الصوتية عبر الهواء إلى أن تدق طبلة الأذن عند المستمع ثم تنتقل إلى دماغه.

*أما المرحلة الثالثة: فهي التي يقوم فيها السامع بحل رموز تلك الرسالة الصوتية والتوصل إلى تركيبها الصوتي والصرفي والنحوي، ويستخلص منها المعنى الذي يقصده المتكلم في ذهنه.

و تناول "كانز" التواصل اللغوي: أن التواصل اللغوي يفضي بتقريب المعنى الذي يقرن به المتكلم الأصوات و هو نفس المعنى الذي يقرن به المستمع الأصوات نفسها، و يتم التواصل عندما يرسل المتكلم مرسلة عبر استعمال نفس القواعد اللغوية الذي يستعملها المستمع لكي يلتقطها، و يتم إرسال هذه المرسلة على شكل تمثيل صوتي للكلام بواسطة تنظيم قواعد لغوية يمتلكه المتكلم، و هذا الإرسال يصبح إشارة لأعضاء المتكلم النطقية بوظائف الأعضاء الفيزيولوجية، فينطق المتكلم الكلام المنطوق تلتقطه أعضاء المستمع السمعية، فتتحول حينئذ أصوات الكلام التي تثير هذه الأعضاء إلى إشارة عصبية نحصل من خلالها على تمثيل صوتي يعادل التمثيل الصوتي الذي أرسله المتكلم .يصفر الإرسال ببعث أصوات المتكلم إزاء تبليغ رسالة صوتية تصطدم بأذن المتلقي محاولا إدراكها واستيعابها، وتلك الرسالة التي يتم إرسالها ما هي إلا مثير يؤثر في نفس المتلقي، وبعد فك رموزها اللغوية يستجيب لهذا الحافز بتمثيل صوتي مجيب يتساوى به مع المتكلم في حالة نقاش وحوار صوتي كان أو كتابي، شفهي، وحتى يكون التواصل إيجابي يقرب المعنى إلى الأذهان وجب استعمال لغة واحدة واستخدام الطرفين قواعد لغوية.

تصحب عملية التواصل عدة عوامل:

1- عوامل النفسية: التي تتعلق بنفسية المتكلم والحافز الذي يدفعه إلى تبليغ الرسالة أو المرسلة اللغوية.

2- عوامل فيزيولوجية: تكمن في نقل المتكلم المرسلة الكامنة في ذهنه من العمليات المجردة إلى العمليات الفيزيولوجية بواسطة أعضاء النطق.

3- عوامل فيزيائية: تتمثل في تسرب الموجات الصوتية عبر الهواء إلى أذن السامع .ومما يراه دي سوسير أننا لو كنا قادرين على جمع جميع الصور الشفوية المختزنة لدى كل الأفراد الناطقين بلغة معينة ربما تمكنّا من لمس الرابط الاجتماعي الذي يشكل اللغة، مردفا أنها كنز يدخره الأفراد الذين ينتمون إلى مجموعة واحدة عبر ممارسة الكلام و هي منظومة نحوية موجودة بالقوة في كل دماغ - وعلى هذا الأساس، فإن اللغة بنية وتنظيم أي بناء من العناصر اللغوية المتفاعلة في ديناميكية تامة، مجموعة من العناصر محسوسة ومجردة منظمة فيما بينها متكاملة بالائتلاف وانسجام أوامرها وسير تراكيبها.

- أما بالنسبة للغة على أنها تنظيم أي تنظيم من الإشارات المتباينة نفسية واجتماعية،فكلمة تنظيم تعني مجموعة من القواعد التي تتحدد ضمن اللغة باستعمال الأصوات والصيغ وأساليب التعبير النحوية والمعجمية

- إن اللغة ما هي إلا بناء من المعاني المحسوسة المجردة ينطقها المتحدث بلسان لغته بوظائف فيزيولوجية متبعا نظام تقاس عليه اللغة في قالب لغوي ينضوي على قواعد نحوية صرفية ثابتة تحدد

مصداقية الكلام المنطوق مع إتباع تراكيب صحيحة في نسق دال .إن ابن خلدون يدور في حلقة ابن حسن عند تحديده لماهية اللغة، أما ابن حزم فيقول إنها جسر الإنسانية إلى كل القيم المجردة والتصورات الذهنية، الأفكار، و هذا واقعيا تأكيد لوظيفة اللغة الاجتماعية دون الفصل في حدودها، و تعد واسطة العقد و أداة تواصل بين الأفكار الصادرة عن الفكر و الأصوات التي تسرب في الهواء بفضل أعضاء فيزيولوجية، تشكل في النهاية لغة . لا نستطيع أن ننطق ونتلفظ بما لا قدرة لنا على التفكير به ولا يمكننا أن نتكلم دون فكرة أو تصور مسبق لحادثة ما. القيم المجردة تحول واقع مادي ولغة متعارف عليها للتواصل مع الآخرين بأصوات دالة على ألفاظها موحية بمعانيها .